

التعاون المنزلى

والجمعية التعاونية المنزلية لمدينة القاهرة

لمندوب المجلة التعاوني

ليس هناك شك في أن الإنسان يحاول إسعاد نفسه بمختلف الوسائل ، وإشعارها بأن الحياة سهلة بسيطة رغم ما فيها من متاع وآلام . ولولا هذه المحاولات المتباينة يتباين الناس واختلاف مطاعمهم وآمالهم لكانت الحياة ثقيلة الوطء بفيضبة إلى كل نفس ، فللموظف والتاجر ، والعامل والصانع ، والزارع وغيرهم متاع وشكايات تنفص عليهم عيشهم ، وتحملهم الآلام ، وتبعث إلى نفوسهم الملل والضعف ، غير أن لكل منهم في الوقت نفسه مطامع وآمالا تحبب إليهم الحياة ، وتدفع بهم إلى العمل والجهاد ، وتقوى عزائمهم ، وتحبب إلى نفوسهم الصبر على احتمال المكاره . ولولا هذه المطامع والآمال لشاهدت وجوها غير الوجوه ، وسمعت أصواتا غير الأصوات ، وأحسست عواطف غير العواطف .

والناس في الدنيا باعتبارهم مستهلكين بصرف النظر عن مهنتهم وحرفهم ، يجمعهم مطعم واحد أو غاية واحدة هي أن يحصلوا على ما يستهلكونه من حاجاتهم المنزلية من أصناف جيدة وبسر معتدل ، وأن يتخلصوا من جشع التجار والوسطاء وما يفرضونه عليهم من ربح فاحش . ذلك لأنهم يرون أن ما يدفعونه أثمانا لأصناف المأكل والملبس وكثير من الحاجات الضرورية لا يقناسب مع أثمان المواد الأولية التي تتكون منها هذه الأصناف ، ولا مع الأثمان التي اشترت بها من المنتجين . والواقع أن المستهلك لهذه الأصناف اللازمة له ولمنتله لا يحصل عليها إلا بعد أن يضاف إليها ربح تاجر "القطاعي" . وهذا لا يناها إلا بعد أن يضاف إليها ربح تاجر الجملة ، وهذا لا يشتريها إلا بعد أن يضاف إليها ربح التاجر المصدر ثم التاجر المنتج "وهي سلسلة طويلة من الأرباح تحملها المستهلك ، وفي كثير من الأحيان يكون هذا المستهلك شخصا إيراده محدود ، ويحتاج إلى تدبير هذا الإيراد حتى يستطيع أن يشتري كل لوازمه لنفسه ولأسرته" . وليس من شك في أن شعور الناس بهذا الغرم هو الذى يدفعهم إلى البحث عن الوسائل المختلفة التي ترفعه عنهم وتريحهم منه ليتمكنوا بما يوفره من فرق بين السعر المعتدل والسعر المرتفع من سد العجز في نواح أخرى أو الحصول على أشياء تخفف عنهم أعباء الحياة وتشعرهم بالطمأنينة والراحة .

بحث المستهلكون ذلك الأمر وفكروا فيه فلم يجدوا أمامهم غير وسيلة واحدة لتحقيق هذه الغاية ، هي أن يتضافروا على إنشاء الجمعيات التعاونية التي تقوم بشراء ما يحتاجون إليه بحملة وتوزيعه عليهم " بالتطاعي " ، والتي من أهم أغراضها الحصول على أصناف جيدة ، وتوزيعها بسعر معتدل يعادل سعر الجملة الذي لا يستطيع المستهلك اليومي أن يحصل عليه باستمرار ، كما أن من أهم أغراضها إبعاد الوسطاء وطمعهم واستغلالهم للمستهلكين .

وبدأ بنشر الدعوة إلى التعاون في مصر زعيمه المرحوم " عمر بك لطفى " ، ثم والاه المغفور له " السلطان حسين كامل " بالعضيد والتشجيع ، وكان التعاون في أول مرة شعبيا ، أى أن الشعب هو الذى فكر فى إنشاء الجمعيات التعاونية ، والسير بها نحو الغاية المنشودة دون الرجوع إلى هيئة تعضده وتشرّف عليه وتمدّ له يد المساعدة ، وبدأت الحركة تثمر ثمرها وتشرق طريقها نحو النجاح إلى أن اعترضتها صدمة كادت تودى بها وتنضى عليها ، أما هذه الصدمة فالضعف والذبول اللذان أصاباها بوفاة زعيمها وقائد نهضتها .

وفكرت الحكومة بعد هذا الضعف والذبول فى أن تعمل شيئا تتخذ به الحركة قبل اضمحلالها وزوالها ، وانتهت من تفكيرها إلى أن تتقدم بعد خمسة عشر يوما كاملا من قيام عمر بك لطفى مناديا بالتعاون للأخذ بناصير الحركة وانتشالها من الضعف الذى دب إليها ، وإحيائها بعد الفناء الذى كادت تصير إليه . وأصبح التعاون فى هذه المرحلة التى رأت الحكومة أن تأخذ بناصيره فيها حكوميا ، واستمر على ذلك خمس سنوات إلى أن جاء المغفور له " فتح الله بركات باشا " فأعطاه جزءا كبيرا من عنايته ، ووالاه باهتمامه .

يقول الدكتور ابراهيم بك رشاد فى محاضراته - واجبتنا التعاونى بعد المعاهدة - " انقضت على هذه الحال خمس سنوات حتى جاء المغفور له فتح الله بركات باشا فأولى التعاون كل عنايته مستعينا بأعضاء البرلمان ، وبحث الحركة التعاونية بحثا دقيقا على ضوء الظروف الخاصة بمصر ، وعلى هدى تجارب الماضى ، مع الاسترشاد بالنظم المتبعة فى الخارج ، وقد اهتدى إلى رأى السيد وهو أن التعاون فى بلادنا لا تقوم له قومة يمتد بها إلا إذا أخذت بيده الأمة والحكومة معا " أى أن يكون شعبيا حكوميا يقوم به الشعب لرفع مستواه فى نواحي الحياة المختلفة من اقتصادية واجتماعية وثقافية ، وتقوم الحكومة بتنظيمه ، وتوجيهه ، والدعوة إليه ، والإشراف على جمعياته ومراجعتها حساباتها ، وإمداد القائمين بها بما يحتاجون إليه من نصيح وإرشاد .

وفى ظل هذا النظام الجديد ، وعلى هذا الأساس الحكومى الشعبى بدأت الحركة التعاونية تسبق طريقها من جديد نحو التقدم والثبات ، وقد أثبتت التجارب أن معاونة الحكومة للشعب ضرورية ولازمة لاستمرار النجاح الذى أسرعت الجمعيات التعاونية الخطى نحوه . .

وقد كان من توفيق الله أن وجه التعاونيون أنظارهم إلى العاصمة ، وأن دفعهم إلى استكمال النقص فيها من الناحية التعاونية . وكان توفيق الله أعظم بإنشاء "الجمعية التعاونية المنزلية للقاهرة" بعد أن زالت العقبات الكثيرة التي كانت تعترض طريق إنشائها .

والغرض من إنشاء هذه الجمعية تكوين هيئة مهمتها خدمة سكان القاهرة جميعا بتقديم جميع حاجاتهم المنزلية دون أن يكون لها غرض في الربح أو الامتثال . وتسير الجمعية في عملها وفق النظام التعاوني المعترف به في جميع أنحاء العالم ، والذي تقوم عليه الجمعيات التعاونية في كل مكان . ويتأخص هذا النظام فيما يأتي :

١ - باب العضوية المفتوح . " Open Membership " ومعنى هذا أن لكل فرد من سكان القاهرة حق الاشتراك في عضوية الجمعية بشراء سهم أو أكثر ، ومعناه كذلك أن رأس مال الجمعية قابل للزيادة المطردة ، وكل ما يشترط بالنسبة للأسهم هو عدد ما يجوز للعضو الواحد أن يمتلكه وقد حدد بنحو خمس مجموع رأس المال والغرض من ذلك واضح .

٢ - الديمقراطية في الإدارة " Democratic Control one man one vote " أي أن الأعضاء جميعا متساوون في الحقوق والواجبات ، ولكل منهما بلغ عدد أسهمه بالنسبة لغيره صوت واحد في الجمعيات العمومية ، ولصاحب السهم الواحد كما لصاحب المائة حق ترشيح نفسه لعضوية مجلس الإدارة أو لعضوية لجنة المراقبة .

٣ - توزيع " العائد " على الأعضاء بنسبة مما ملاتهم مع الجمعية .

" Distribution of the Surplus to the members, in proportion to their transaction " ويعتمد بالعائد الربح الذي تقدمه الجمعية في نهاية كل سنة على مجموع ما اشترى به العضو خلال تلك السنة ، والغرض من ذلك تشجيع التعامل مع الجمعية لضمان نجاحها وتقدمها .

٤ - الفائدة المحدودة على رأس المال " Limited interest on Capital " ولا تتجاوز هذه الفائدة ٦٪ من الأرباح توزع على الأعضاء بطريقة عاملة .

٥ - الابتعاد عن الاشتغال بالسياسة والدين .

" Political and religious neutrality "

٦ - التعامل نقدا " Cash trading " والغرض من ذلك تعويد الأعضاء الموازنة بين دخلهم وخرجهم ، ومحافظة من الجمعية في الوقت نفسه على أموال المساهمين فيما .

٧ - نشر التعليم والثقافة "Promotion of Education" وذلك بما يخصص من الربح في كل عام، وللمجلس الإدارة حق تعيين النواحي التعليمية أو الصحية أو الاجتماعية التي ينفق فيها ذلك المال .

وقد بدأت الجمعية عملها بإنشاء محل "للبقالة" بعارة بنك مصر "بميدان الأوبرا" واحتفلت الجمعية بافتتاحه في اليوم الخامس عشر من شهر أغسطس الماضي، والجمعية عازمة إذا ما ثبتت أقدامها - وهذا ما نرجوه لها - على إنشاء محال أخرى لمبيع اللحوم والفاكهة الطازجة والخضر والألبان وغيرها مما هو ضروري .

ويسرنا أن نتنهز هذه الفرصة لنتوه بالجهود العظيمة التي بذلها أعضاء الجمعية حتى وصلوا إلى هذه الخطوة الموفقة الناجحة بإذن الله .

والواقع أن إنشاء هذه الجمعية جاء في الوقت المناسب فإن الحرب الحالية وما أحدثته من كساد تجارى أوقع الدول كلها في أزمات اقتصادية شديدة ، وما نتج عن ذلك من ارتفاع أسعار الحاجات كلها ، ثم صعوبة الحصول على كثير من تلك الحاجات . كل هذا قوى عند الناس فكرة إنشاء جمعية تعاونية تقوم بإعداد حاجات الإنسان المنزلية وتقديمها له من أصناف جيدة وبسعر معتدل .

وليس التعاون - كما قد يظن بعض الناس - نظاما مؤقتا تدفع إليه ضرورة عاجلة ينتهى بانتهائها ولكنه نظام دائم تدعو إليه طبيعة الحياة في كل وقت .

يقول الدكتور أحمد زكي أبو شادي في محاضرة ألقاها بجمعية الشبان المسيحية بالإسكندرية "إن للتعاون مزاياه الجليلة في السلم، وله مزايا أجمل في الحرب حيث تستند البواعث لتخفيف الضائقة ووقف الوصولين الناهبين عند حدهم، والتعاون الذي لا يعطى لأى عضو أكثر من صوت واحد، ولا يسمح بالتفانى في الربح، ولا يوزع الفائض إلا بقدر نسبة معاملات الأعضاء، ويأبى التدخل في السياسة والأديان، ويجعل من عناصره نشر الثقافة ورفع المستوى الاجتماعى، لهُ هو الدواء لبلادنا المفككة بالتطاحن الحزبى، وبالوان التعصب الطائفى والدينى، وبفقر الجماهير، وبقصور المشروعات الوطنية، وبانتشار الأمية والأمراض المتوطنة وبكثرة الديون وتغلغل النفوذ الأجنبى" .

و غاية ما يرجوه المشرفون على الحركة التعاونية في مصر أن تكون هذه الحركة الوسيلة إلى الخلاص من كل الأمراض والعلل والدواء الناجع لكل الأقسام فهى بحق حركة الإصلاح التي تناول جميع مرافق الحياة، وما أحوج مصر في هذا الوقت إلى النهوض بهذه المرافق وتعويد الشعب على أن يعيا خيرا من هذه الحياة .